صورة الرجل في الرواية "السقوط في الشمس"لسناء شعلان.

بقلم: إرم زهراء رضوي/ قسم اللّغة العربيّة/ الجامعة المليّة/نيودلهي/ الهند.

تلخيص

تعددت صورة الرجل في روايات النساء وتنوعت بين سلبية وإيجابية،فالمرأة الكاتبة تسعى في كتابتها إلى إنهاء سطوة الرجل ووصايته ، ولكن الصورة السائدة في الغالب كانت الصورة السلبية .و هناك عوامل عدة في تشكيل هذه الصورة.

ويأتي في مقدَمتِّها العامل الجنسي؛ إذ لا نجد كاتبةً إلَّا تحدثت عن شخصية الرجل الشهواني وحول نظرةِ الرجل للمرأة على أنها ولدت للمُتعة فقط، كما تحدثت الروائيات عن مشاكل الرجل الجنسية من شذوذ واغتصاب وتعدُدِ العلاقات الجنسية.

أما العامل الثاني الذي أسهم في إبراز صورة الرجل السلبية هو الظلم والقسوة التي يمارسها الرجل في المجتمع العربيي وفرض سيطرته الذكورية دون خوف؛ فله الحق في فِعل ما يشاء وله الحق في التحكم بالمرأة وتقييدها، وإطلاق الاحكام عليها ومحاسبتِها دون محاسَبةِ نفسه على أخطائه التي شوَّهت الأسرة والمجتمع.

أما العامل الثالث فهو الخداع وعدم الثقة؛ ففي الروايات النسائية برزت شخصية الرجل الكاذب؛ الرجل الذي تتصف كل علاقاته مع النساء بالكذب وانعدام الثقة؛ فهو يتنقلُ من امرأة إلى أخرى مستعينا بالكذب والخداع.

أما الصورة الإيجابية للرجل فهي صورة قائمة على الصفات الفطرية في الرجل من شهامة وأخلاق وشَجاعة وإنسانية قائمةٍ على مناصرة المظلوم سواء أكان المظلوم امرأة أم رجلاً، كما أن هناك بعض الرجال الذين يقفون إلى جانب المرأة يشعُرون بمعاناتها ويدعون إلى تحررها؛ لكنهم قليلون في مجتمعِ العربي و حتى

. في مجتمعتنا ايضا

ونحن من خلال هذه العوامل نجد أهم صور الرجل في الروايات النسائية، ثم نبحث فيها ونربطها مع صورةالرجل التي وردت في رواية (السقوط في الشمس) ونبحث إذا ما كانت تشابهت صورة الرجل في رواية (السقوط ف الشمس)مع الروايات النسائية، وهل ركزت رواية (السقوط في الشمس) على الصورة السلبية للرجل أم الصورة الإيجابية وما هي الصور التي لم تذكرها .

وقد صورت الكاتبة سناء الشعلان الرجل في روايتها من خلال عدة صور وهي:صورة الرجل الاب ، صورة الرجل الزوج ، صورة الرجل الأخ ، صورة الرجل الخائن، صورة الرجل المناضل، صورة الرجل المحب العاشق، صورة الرجل الشهواني، صورة الرجل الاسطورة، صورة الرجل الجبان، صورة الرجل المتدين، صورة الرجل الظالم، صورة الرجل الفلاح، والرجل الفقير.

صنع الرجل المرأة كما يريد، مثلا معشوقة خاصة، لا يحق للغير (الرجل الآخر) المساس بها، شكلها في أحلامه فكانت المعشوقة المستحيلة عند العذريين، وشكلها جسدا مرسوما بالكلمات كما عند العذريين، وجسدا صخرا نفخ فيه من روحه ليكون من يد وروح خاصتين كما تقول الأسطورة. وأما المرأة العربية فقد ظلت مستهدفة في هذا النوع من الكتابة، ولم تستطع أن تكون الصانعة لحلمها كما كان الرجل.
وظلت المرأة موضوعا يتحدث عنه لا ذاتا تتحدث، وفي أحسن حالاتها معشوقة تلتم حولها قصائد الرجل وأنفاسه، لا نرى منها إلا الخط العنوان لمشاعرها أحبت فلانا، لم تحب فلانا، وأما كيف تحب كيف تفكر وما إلى ذلك... فهذه المناطق كانت المرأة محرومة منها إلى سنوات قليلة مضت، حيث بدأت المرأة تعتبر عن ذاتها ومشاعرها من خلال السرد الروائي والقصصي والشعر بشكل خجول إلى سنوات قريبة.
أما كيف تصنع المرأة عاشقة الرجل فهذا ما تَرسِمه البطلة في هذه "رواية السقوط في الشمس لسناء شعلان، بنت نعيمة الصادرة عن مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن في ٢٠٠٦م، ويقع في مائتين وثمانين صفحة.

ليست في الرواية اسم للبطلة أو للبطل "أسماؤنا أسخف ما نحمل، أسماؤنا ليست

لنا، بل هي ملك القدر"، لم تسميها الروائية قصدا، ربما أرادت سناء شعلان أن الروائي بحيث يمثلان كيانات (logo) تمنح لبطلي روايتها ما يشبه اللوجو موسومة بالعشق وموسومة بالشتات. فالأسماء شيء واقعي وقائعي، وهي لا تريد لهذه العَلاقة أن تحمل من الواقع إلا يجعل القصة جميلة .
لا تذكر اسمي، اسمي هو وجودي معك، أنا لا اسميك بل لا اذكر اسمك، أتعرف"
لم؟
لم؟
لأن اسمك يعني كل رجال الدنيا ، أنت رجال الدنيا كلهم في رجل واحد، لا رجل في دنياي من بعدك، عالمي أنت، لا أسميك لأني أغار أن تلامس شفاهي حروف اسمك و أنا أنطقه".

صورة الرجل الأسطورة

ان الرواية السقوط في الشمس هي ديوان الغزل ،حين تغزلت البطلة حبيبها بلا خجل .أو في كلمات اخرى نستطيع ان نقول الكاتبة لسيت فقط اتت المراه حق التعبير عن مشاعرها بلا خجل بل منحت الرجل حق التغزل به.

وفي رواية السقوط في الشمس استخدمت الكاتبة الأساطير لتُعبرعن مشاعر المراة بالكثرة ،استخدمتها لتصف جمال الرجل تتغزل به، وقد استخدمت الأساطير رمزاً، استخدمتها في وصف اخلاص الزوج وحبه لزوجته، كما استخدمتها في وصف الرجل المقاوم الثائر، بدايةً بالأساطير التي صورت جمال الرجل ,ففي هذه الأساطير رسمت صورة الرجل الحبيب الذي عشِقته وأُعجبت بجماله.
فتجدك ممتطياً عَرَبتُك الذهبية تحمل الشمس، وتهدي النور للبشر، وتنديهم من" ينبوع رجولتك وبهاءِ طلتِك، فتقبلُكَ، تهديك دفلى مشاعرها " ، فهنا شبهت الرجل الحبيب بالشمس الذي ينور و ينشر أشعته على الدنيا، تتغزل بطلتِه وجماله، وتجعله مصدرا في حياتها.

فالرواية مقدمة بطريقة الاسترجاع، فالبطلة تعود بعد غياب عشرين عاما لزيارة حبيبها وهو على سرير الموت.

صورة الرجل الجبان

وفي محطة قطار تتذكر (تسترجع) أحداث الرواية كاملة، تلك الأحداث التي دارت في ست سنوات في أيام جامعية. وأغلبية أبطالها طلبة دارسون في مؤسسة أكاديمية حيث كانت البطلة تدرس الفنون وتتعرف على البطل الفنان المعشوق حيث كان يعمل معلما أو مشرفا في تلك الأكاديمية، وكان البطل مَحَطَّ إعجاب كثيرات، ولكن بفيض حبها الهائل تمكنت أن تكون أهم جزء في وقته وحياته.
ولكنَّ نقطةَ تَحَوُّلٍ التي يخدم الرؤية النهائية للرواية، وقد كان ذلك عندما طلبت البطلة المساعدة في كفالة طالب فلسطيني يسمى عيسى قد سجن بسبب مشاركته في تظاهرات في الأكاديمية لأجل تحرير فلسطين، فرفض طلبها وأفصح في شخصيته أنه رجل جبان، وأناني، لا يريد تعبا في سبيل أي إنسان.

صورة الرجل العاشق

في رواية(السقوط في الشمس) نجد صورة الرجل المحب العاشق ولكن يكون حضوره أقل من المرأة العاشقة وتعبيره في الرواية أقل من المرأة، وتتجسد صورة الرجل المحب (هيليوس) الذي أحب (أرتميس) وسحر بجمالها، وكان دائما يتغزل بها ويقضي معظم وقته معها وكان يحب كل شيء في أرتميس حتى تلك الندبة التي كانت تخفيها بشعرها "قلت لك: هي من سقطة قديمة..

ومن صور الرجل العاشق شخصية كاظم حبيب فضيلة الذي احب فضيلة و كان ومخلصا في حبه ولكن سافر إلى بلده البصرة ليعمل ،لكسب المال لاجل اسرتة ،ولكي يعود ليتزوج من فضيلة، ولكنه يذهب إلى الجيش ويستشهد فيفرق الموت بينه وبين فضيلة التي كانت كل شيء جميل في حياته، كان دائماً يقول: إن فضيلة هي السعادة الوحيدة في حياته، عشِقها حد الموت، فكاظم كان حبيباً مخلصا في سبيل حبه .

صورة الرجل المناضل

و نجد صورة أخرى للرجل العاشق صورة عيسى الذي أحب (أرتميس) التي لم تحبه، فكان حبه من طرف واحد يراقبها يراها يكلمها دون أن يبوح بحبه

وإعجابه، وحين اعترف لها بحبه وعرض عليها الزواج والذهاب معه لفلسطين رفضت لانها كانت تحب(هيليوس) ، حلم عيسى بالزواج منها وإنجاب عشرة أطفال منها يقدمهم للوطن، كان حبهُ للارتميس كحبهُ للوطن.

صورة الرجل الخائن

ففي رواية السقوط في الشمس نجد صورة الرجل الذي يخون حبيبته ويَعِدُها بالزواج ولكنه يخون حبيبته مع امراة اخرى تسمى شرف لانها كانت حاملة مع طفله ،و خسر حبيبته للابد.
لا نجد خيانة اخرى في الرواية.

ففي روايات النساء تجد صورة سائدة لألب المسيطر الظالم الابنته وقد تمثلت السلطة الذكورية بداية في الأب والأخ وذلك قبل الزوج ، فرواية السقوط في الشمس صورت الأب بصورة إيجابية، جعلت منه سنداً لابنائه وأسرته، فلم نلحظ وجود الصورة السيئة لأب.
كما نجد فيه صورة الأخ الطيب.

نجد فيه صور عدة لرجل ،نلاحظ أن الكاتبة قد عادلت في تشكيل الصورة للرجل،نجد صورتين للرجل واحد سلبية و اخرى إيجابية.

شكرا لكم لحسن استمعكم!